مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدَة

مَسْعُودَة بَاجِ - مَرْيَمْ -

1959 - 1933

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيدة

مسعودة بابا - مريم -

1959 - 1933

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-47-8
الإيداع القانوني : 2009-5881

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

لَقَدْ رَأَتْ مَسْعُودَة باج -المَدْعُوَّة مريم- نُورَ الحَيَاة يَوْمَ 07 ماي 1933، وتَرَبَّتْ وَسَطَ عَائلَة مُحَافظَة مَيْسُورَة الْحَال؛ نَشَأَتْ بَيْنَ خَمْسَة أَوْلاد؛ وتَعَلَّمَتْ في المَدْرَسَة الابْتدَائيَّة الفَرَنْسيَّة بمدينة الأصْنَام (الشلف حاليًا).

كَانَتْ مَسْعُودَة تلميذَةً نَجيبَةً، كَمَا كَانَتْ تَتَحَلَّى بأَخْلاَقٍ حَميدَةٍ.

وَخلاَلَ دراَسَتهَا أَحَسَّتْ بالفَوارق الاجْتمَاعيَّة بَيْنَ الفَرنسيّينَ والجزائريّينَ. فتَبَلْوَرَتْ أَفْكارُها ممّا جَعَلَها تَتَفَتَّحُ عَلَى الوَاقعِ المُرّ الَّذي تَسُودُهُ سيَاسَةُ "تَجْهيلِ الجزائريّين" الَّتي كَانَتْ تَنْتَهجُها فَرَنْسَا، مِمّا أَدَّى إلَى حرمَانِ أغْلَبيَّةِ الجزائريّينَ

من حَـقِّ التَّعَلُّـم.

كَانَ هَذَا الشُّعـورُ بالاضْـطهـاد والاسْـتبْداد بـدايَةً لتَـبَلْـورِ وَعْـيها، لأنّهَا أَدْرَكَتْ أنَّ فَـرَنْسَا طَبَّقَتْ عَلَى الجَزَائِرِيّينَ قَاعدَةَ الثَّالُوث الرَّهيب: الجَـهْلِ والفَـقْـرِ والمَرَضِ، حَـتَّى لا تَـقُـومَ لَـهُمْ قَائِمَةٌ.

قَالَتْ أسْمَاءُ:

وكَـيْفَ اسْـتَـطَاعَتْ مَـسْعُـودَةُ أنْ تُـواصِلَ تَعَلُّمَها في هذا الوَضْعِ المُؤْلِم؟

أجَبْتُ: إنّ الظُّروفَ الاسْـتعـمـاريَّـةَ الَّتي فَرَضَتْها آنذاك، جَعَلَتْها تُصرُّ على مُواصَلَة دراسَتـهَا بكُلّ إرادَة وعَـزْمٍ، مِّمَا جَعَلَ وَعْـيَـهَا الـوَطنيَّ يَسْـتَوْعِبُ كُلَّ الوَقَـائِعِ والأحْداث الَّتي عَـرَفَتْها البِلادُ من قَبْلُ، ولا سيّما مَجَازِرُ 08

ماي 1945م الَّتي سَقَطَ فيهَا خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ شَهِيدٍ في كُلٍّ من سطيف وَقَالْمَة وخرّاطة وغَيْرِها من المُدُن والقُرَى الجزائريّة. أَعْتَبِرُ هذا الفِعْلَ جَرِيمَةً ضِدَّ الإِنْسانِيَّةِ، ووَصْمَةَ عَارٍ في جَبِينِ فَرَنْسَا الاسْتِعمارِيّة.

فاجَأَتْ سارة أبانا بقولها:

إِنَّكَ تَعْلَمُ يَا أَبِي، أَنّني أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ طَبِيبَةً.

ضَحِكْتُ وَقُلْتُ لَها :

هَلْ تُمَهِّدينَ لِطَرْحِ سُؤَالٍ؟

قَالَتْ: أيْ نَعَمْ، هل حَقَّقَتْ مَسْعُودَةُ مَا كَانَتْ تَحْلُمُ بِهِ.

قُلْتُ: تَقْصِدينَ حُلْمَها أن تُصْبِحَ مُمَرِّضَةً؟

لَقَدْ فَكَّرَتْ فِي ذَلِكَ حِينَمَا بَلَغَتْ مُسْتَوًى مِنَ التَّعْلِيمِ، مَنَّتْ نَفْسَهَا أَنْ تَكُونَ قَابِلَةً.

وَبَعْدَ زِيَارَتِها لِخَالَتِها بِالْمُسْتَشْفَى، أَعْجَبَهَا مَنْظَرُ الْمَرَّضَات، وَهُنَّ يَرْتَدِينَ مَآزِرَهُنَّ البَيْضَاءَ، فسَأَلَتْ إِحْدَاهن عن السَّبِيلِ الْمُوصِلِ إِلى مُمَارَسَةِ مِهْنَةِ التَّمْرِيضِ، فأَخْبَرَتْهَا بِوُجُودِ مَدْرَسَةٍ لِتَكْوِينِ الْمُمَرِّضِينَ بِـ "بَاب جديد" (مُسْتَشْفَى آيت إيدير حاليًا) المَوْجُود بالجزائرِ الْعَاصِمَةِ، وبَعْدَ مُرَاسَلَتِها لِلْمُؤَسَّسَةِ المَذْكُورَةِ، جَاءَها الرَّدُّ بَعْدَ 15 يَوْمًا بِالقَبُولِ؛ وقد قَابَلَتْ أُمَّهَا ذلك بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وأَمَّا أَبُوها فَتَرَدَّدَ فِي بَادِئِ الأَمْرِ، ثمّ قَبِلَ في الأَخِيرِ ورَافَقَها إِلَى الْمَدْرَسَة.

وفِعْلاً تَمَّ تَسْجِيلُها في بِدَايَة سِبْتَمْبَر

1953، لتَبْدَأَ بفَرَحٍ غَامرٍ تَكْوينَها المِهْنيَّ في إِطَارِ نِظَامٍ دَاخِليٍّ، يُلْزِمُها المُدَاوَمَةَ كَبَقِيَّةِ زُمَلائِهَا وَالقِيَامَ بالمُنَاوَبَةِ بالمُسْتَشْفَى لَيْلَتَيْنِ كُلَّ أَسْبُوعٍ.

بَعْدَ ذَلِكَ، طَرَحَتْ أَسْمَاءُ عَلَى غَيْرِ العَادَةِ سُؤالاً مُحَيِّراً.

هَلْ كَانَ لَهَا نَشَاطٌ آخَرُ؟

أَجَابَ الأَبُ:

في يَوْمٍ من الأَيَّام، كَانَتْ مَسْعُودَة تَسيرُ بحَيِّ باب الوادي القَريب منَ القَصَبَة، وَصَلَ إِلَى سَمْعِهَا صَوْتٌ شَجِيٌّ أَثَّر في وجْدَانها، كَانَ ذَلِكَ نَشيدُ **"منْ جِبَالنا طَلَعَ صَوْتُ الأَحْرَارْ"**، فقَرَأَت اللَّوْحَةَ المَوْجُودَةَ بأَعْلَى المَدْخَلِ وقد كُتِبَ عليها "نَادِي الكَشَّافَةِ

الإِسْلاَمِيَّة الجزائرِيّة" فتَوَقَّفَتْ للاسْتِمَاعِ إلى الحَنَاجِرِ الكَشْفِيَّة ثمّ رَاحَتْ تُرَدِّدُ مع الجَمِيعِ في عِزَّةٍ وكِبْرِيَاءٍ ذلك النَّشِيد.

لمْ يَسْمَحْ لها قلْبُها أن تُغَادِرَ المكانَ دُونَ وُلُوجِ مَقَرّ الكَشَّافَة، وتَفَحُّصِ وُجُوه هَذه البَرَاعِمِ الكَشْفِيَّة الَّتِي كَانَتْ تُنْشِدُ، وكَأنّهَا دَعْوَةٌ عَلَنِيَّةٌ إلى الانْخِراط في العَمَلِ الثَّوْرِيّ، لطَرْدِ هذا المُحْتَلّ الغَاشِمِ، الَّذي جَثَمَ على الجزائرِ أكْثَرَ من قَرْنٍ.

وَجَدَتْ مَسْعُودَةُ بالدَّاخلِ مَجْمُوعَةً من الشَّابَّات والشَّبَاب تَقُودُهمُ المُنَشّطَةُ الكَشْفِيَّةُ "حوريَّة" فانْخَرَطَتْ مَسْعُودَةُ مَعَهُمْ في هَذَا التَّنْظِيمِ الكَشْفِيّ بعَفْوِيَّة، لتَتَدَرَّبَ على النَّشَاطَاتِ الكَشْفِيَّة، وتَحْفَظَ الأنَاشِيدَ،

وَتَسْتَمِعَ إِلَى دُرُوسٍ فِي الوَطَنِيَّة، وَهَذَا مَا جَعَلَ وعْيَهَا السِّيَاسِيَّ يَزْدَادُ نُضْجًا، فتَعَرَّفَتْ عَلَى الْمُقَاوَمَاتِ الشَّعْبِيَّةِ والِانْتِفَاضَاتِ التي قَمَعَتْهَا فَرَنْسَا.

سَاعَدَتْهَا الحَرَكَةُ الكَشْفِيَّةُ عَلَى أن تَقِفَ مَعَ شَعْبِهَا بِبَسَالَةٍ أثناء زِلْزَالِ الأصنام الَّذي ضَرَبَ المَنْطَقَةَ في 09 سبتمبر 1954، فأدَّتْ دَوْرًا فَعَّالاً في مُسَاعَدَةِ المَنْكوبين. وبالرّغْمِ من غِيَابِها عن الدّراسة أَسْبُوعًا إلاّ أنّ فعْلَها هَذَا قَدْ شَفَعَ لَهَا لَدَى الإِدَارَةِ في المدرسة عَدَمَ إقْصائها من مُوَاصَلَةِ دِرَاسَتِهَا بمدرسةِ تَكْوِينِ الْمُمَرِّضِينَ.

قَالَتْ أَسْمَاءُ:

كَيْفَ اسْتَقْبَلَتْ مَسْعُودَةُ نَبَأَ انْدِلاعِ الثَّوْرَةِ؟

وهل انْخَرَطَتْ مُبَاشَرَةً فِيهَا ؟

قُلْتُ: كان تَاريخُ 01 نوفمبر 1954 نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ عَميقَةً، وَصَلَ صَدَاها إلى كُلِّ رُبُوعِ الجزائرِ، وإلى مَسَامعِ الدّنيا قَاطبَةً، من خلاَلِ الإعْلاَنِ عن الثَّوْرَةِ الَّذي أَرْبَكَ فَرَنْسَا وأَذْنَابَها.

وَاصَلَتْ مسعودة نَشَاطَاتها بين صُفوف الكَشَّافَة، ولكنّ الحَديثَ عن الثَّوْرَة شَغَلَ جُلَّ تَفْكيرها، رَغْمَ أنّ العَامَ الثَّاني من التَّرَبُّصِ الَّذِي كَانَتْ تَقُومُ بِهِ قَدْ أوْشَكَ عَلَى نِهَايَتِه.

وفي صَيْف 1955، عَادَتْ من جَديدٍ إلى عَائلتها في جَوٍّ مَشْحُونٍ بالاضْطرَابَات والعَمَليَّات الفدَائيَّة المُركَّزَة، وهَجَمَاتَ جَيْشِ التَّحْرِيرِ عَلى مَرَاكِزِ المُسْتَعْمِرِ لزَرْعِ الرُّعْبِ

والخَوْف في صُفُوف الْمُعَـمّرينَ والـتَّصْفيَة الجَسَديَّة للمُتَعاونينَ مع فَرَنْسَا، من عُمَلاَءٍ وخَوَنَةٍ.

سَارَةُ: هل انْضَمَّتْ مَسْعُودَة بَاجْ إلَى صُفوفِ الثَّوْرَةِ؟

قُلْتُ:

لَمَّا بَلَغَتْ مسعودة مَرْحَلَةَ النُّضْجِ اعْتَنَقَتْ مَبَادئَ الثَّوْرَة، وبَدَأَتْ تَلْعَبُ دَوْراً بَارزاً في الخطَاب السِّيَاسِيّ والتَّعْبَوِيّ، اسْتَطَاعَتْ أن تُقْنعَ الكَثيرَ من شَبَاب النَّاحيَة للانْخرَاط في صُفُوف الثَّوْرَة؛ كَانَتْ تَتَأسَّفُ لكَوْنهَا امْرَأَةً لا تَسْتَطيعُ التَّنَقُّلَ إلى خَارجِ المدينة، للْجهَاد مع أخيهَا الرَّجُل، وكانت تَقُولُ للشَّبَاب: لو كُنْتُ رَجُلاً لَمَا تَأخَّرْتُ لَحْظَةً وَاحدَةً عن أدَاء

الوَاجِبِ الوَطنِيّ المُقَدَّس.

إنّ عَمَلَها هذا دَفَعَ البوليس الفَرَنْسيّ إلى مُسَاءَلَةِ أبِيها عن نَشاطِ ابْنَتِهِ وتَحَرُّكَاتِها المَشْبُوهَةِ.

لذَلكَ أضْحَتْ مسعودة تَحْتَاطُ للأمْرِ، وتَعْمَلُ في سرّيَّةٍ تَامَّة. انْتَقَلَتْ مَرَّةً أخْرى إلَى العَاصمَة، لمُوَاصَلَةِ تَرَبُّصِها في تَكْوِينِ المُمَرّضِينَ، وإعْدَادِ العُدَّة للدُّخول في المجَالِ التَّطْبِيقِيّ، ومع ذلكَ لمْ يَكُنْ هذا الأمْرُ يَهُمُّها كَثِيراً، مثْلَمَا كَانَ يَهُمُّهَا النَّشَاطُ الثَّوْرِيُّ للمُجَاهِدِينَ والوُقُوفُ إلى جَانِبِهِمْ ودَعْمِهِمْ بكُلِّ الوَسَائِل.

أسماء:

هَلِ الفِئَاتُ المَحْرُومَةُ مِنَ الجَزَائِرِيّينَ فَقَطْ

هِيَ الَّتِي قَامَتْ بالثَّوْرَةِ؟

أَجَابَ الأبُ: لا، يا بُنَيَّتي؛ لقد شَارَكَتْ كُلُّ الفئَات الاجْتِمَاعيَّة في الثَّوْرَة، وانْخَرَطَ فيها الأمّيُّ والْمُتَعَلّمُ والغَنيُّ والفَقيرُ، كان هَدَفُهُم جَميعًا هو تحْريرُ الوَطَن. وقد كان الطَّلَبَةُ في طَليعَة الْمُلَبّينَ لنداء الثَّوْرَة، وهذا ما تَجَلَّى في إضْرَاب الـ 19 ماي 1956؛ حين غَادَرَ الكَثيرُ منهم مَقَاعدَ الدّراسة والْتَحَقُوا بصُفوف الْمُجاهدينَ في الجبَال لأداء وَاجبهم الْمُقَدَّس، وقد كان لهذا الموْقف صَدَاهُ الواسعُ.

تَفَاعَلَتْ مسعودةُ مع نداء الثَّوْرَة، واسْتَجَابَتْ إلى أمْر مُسَاهَمَة الْمَرْأة في الكفَاح الْمُسَلَّح إلى جَانب أخيها الرَّجُل؛ بل هذا ما أثْلَجَ صَدْرَها وحَفَّزَهَا إلى الالْتحاق بها. كان

يَفْصلُها شَهْرٌ واحدٌ على حُصولها على شَهادَة تَأهيلٍ (كقَابلَةٍ)، وأثناء تَواجُدها عند صَديقَتها حوريّة، حَضَرَتْ اجْتماعًا لُمُناضلي جَبْهَة التَّحْرير الوَطَنيّ، حيث الْتَقَتْ بعَدَدٍ من الطَّلَبَة الَّذينَ كَانُوا يَدْرُسونَ في الطّبّ، ولا سيّما الَّذينَ كَانَتْ تَدْرُسُ مَعَهُمْ، حَيْثُ حَدَّدَتْ معهم مَوْعدَ الالْتحَاق بالثَّوْرَة في الأسْبُوع الأخير منْ شَهْر جوان 1956، دون أن تُعْلمَ أسْرَتَها بما عَزَمَتْ عليه حَتَّى اليَوْم الَّذي قَرَّرَتْ فيه الصُّعُودَ إلى الجَبَل؛ سَلَّمَتْ على إخْوَتها ووَالدَيْها اللّذين انْدَهَشَا لذَلكَ، لَكنَّ نداءَ الواجب كان أقْوَى لَدَى مسعودة من عَاطفَة الأبُوَّة والأمُومَة.

بعد أن جَمَعَتْ أغْرَاضًا قَليلَةً في حَقيبَتها، الْتَحقَتْ بصُفوف المُجَاهدينَ بالولاَيَة

الرَّابِعَةِ حيث عُرِفَتْ بِاسْمِ "مريم".

بَاشَرَتْ مَهَمَّةَ التَّمْريض إلى جَانبَ رُفَقَائها في الجِهَاد، كما كانت تُشْرِفُ على الطَّبْخِ والتَّنْظيف، وتَقُومُ بزيَارَة الأهَالي بالمنْطَقَة، للاطْمئْنَانِ عليهم وتَقْديمِ العِلاَجِ اللاَّزِمِ لهم، وخَاصَّةً المُسنّينَ والأطْفَالَ منهم.

بعد ذلك انْتَقَلَتْ إلى جِبَالِ الزّبربر مع الفرْقَة الَّتي كانت تَعْمَلُ معها، لتُقَدّمَ مُسَاعَدَاتٍ من أجْلِ تَكْوينِ مَركَزٍ هناك، ثمّ تَنَقَّلَتْ إلى جبَال زكّار (مليانة) لفَتْحِ مَركَزٍ آخرَ، لتَكُونَ أوَّلَ مُمَرّضَةٍ بالمنْطَقَة الرَّابعَة (الولاَيَة الرَّابعَة) بعد مؤتمر الصُّومَام. وبالمَكَانِ ذَاته، كَوَّنَتْ مصَحَّةً مُنَظَّمَةً مع بعضِ المُجَاهِدينَ الَّذينَ أشْرَفَتْ على تَأهيلِهم في

الإنْقَاذ والاسْتعْجَالاَت. كانت تَرْبطُها بسُكَّانِ المَنْطَقَة عَلاَقَاتٌ ودِّيَّةٌ، فكانت تُزَوِّدُهم بالأدْوِيَةِ وتَمُدُّهم بالنَّصَائِحِ الصِّحِّيَّة.

ومن المَعَارك الَّتي خَاضَتْها، إلى جَانب المُجَاهدينَ مَعْرَكَةُ غَابَة "بيسَا" بجبَال الظَّهْرَة، (ناحية تْنَسْ)، حيث جَرَتْ مَعَارِكُ طَاحنَةٌ اسْتَمَرَّتْ أيَّامًا، اسْتَعْمَلَ خلاَلَها الجَيْشُ الفَرَنْسِيّ كُلَّ أسْلحَته الثَّقيلَة من مُدَرَّعَاتٍ وعَرَبَاتٍ مُجَنْزَرَةٍ إلى جَانب الطَّائرَات الحَرْبيَّة، غَيْرَ أنه عنْدَمَا لمْ يَسْتَطعِ اكْتسَاحَ المنْطَقَة، لَجَأَ إلى اسْتعْمَالِ الأسْلحَةِ المُحَرَّمَة دُوَليًّا مثْلَ "النّابالم".

وعندما اشْتَدّ الوَضْعُ وتَفَاقَمَتْ خُطُورَتُهُ نَظَراً لكَثْرَةِ الجَرْحَى، انْتَقَلَتْ مريم لعلاَجِهم

في المَيْدَان، فقَدَّمَتْ لهم الإِسْعَافَاتِ الأوَّلِيَّةَ لإِنْقَاذِ مَايُمْكِنُ إِنْقَاذُه.

قَالَتْ أسماء: الآنَ حَدِّثْنا يا أبِي عن ظُروفِ اسْتِشْهَادِ مسعودة؟

الأبُ: في نهَايَة سَنَة 1959، قَرَّرَتْ قيَادَةُ الولاَيَة الرَّابعَة، إِرْسَالَ مَجْمُوعَةٍ من المُمَرِّضينَ والمُمَرِّضات إِلَى الدُّوَل الشَّقيقَة من أَجْلِ مُواصَلَة التَّكْوِين، فكَان اسْمُ مسعودة على رَأسِ القَائِمَة.

وعند اجْتِيَاز المَجْمُوعَة للحُدُود الغَرْبيَّة، فُوجِئَتْ بكَمِينٍ نَصَبَهُ لهم العَدُوُّ، ممّاَ أَدَّى إِلَى فَوْزِ مسعودة باج بالشَّهَادَةِ مع رفَاقٍ لها.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ (1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ